فن المناظرة

بين

النظرية والتطبيق .

لا مناظرة عن : أيهما تفضل الشعر القديم أم الشعر الحديث ؟

المناظرة

أيهما تفضل الشعر القديم أم الشعر الحديث ؟

مقدمة المناظرة :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الإنسانية . وشمس الهداية الربانية سيدنا محمد ﷺ .

تحية إلى السادة الحضور... ونود أن يتسع صدرهم إلى تحاورنا.. وتناظرنا .. حول قضية أدبية هامة ألا وهي قضية الشعر الحديث والشعر القديم . ومعنا الآن فريقان - فريق مؤيد للشعر الحديث . وفريق مؤيد للشعر القديم . والمناظرة لا تنصب على الخلاف ... ولكنها مسألة تفضيل اتجاه شعري على آخر .. وسوف تكون محاور التناظر عن الشعر القديم . والشعر الحديث كالتالي

١. **المحور الأول** : الوزن والقافية .
٢. **المحور الثاني** : عن الخيال .
٣. **المحور الثالث** : عن الأفكار .
٤. **المحور الرابع** : الوحدة العضوية .
٥. **المحور الخامس** : الألفاظ .

والآن فليتفضل كل فريق بتقديم نفسه .. المؤيد للشعر الحديث .. . تم يتفضل الفريق المؤيد للشعر القديم بتقديم نفسه .. . . فلنحاول مع الفريقين لنصل الفائدة المرجوة من المناظرة .

الفريق المؤيد - الوزن والقافية - في الشعر العربي :

أنا من أشد المعجبين بالشعر الحديث (شعر التفعيلة) حيث إن الجانب الموسيقي . بخاصة الموسيقى الهادئة لدى شعراء هذه المدرسة

وأريد أن أوضح نقطة هامة هي ان البعض يظن خطأ أن الشعر الحر ليس موزوناً .. ولكنه شعر موزون ، وينظم على أبحر الشعر الستة عشر المعروفة ، ولكن الحرية تتأتي من كون الشاعر يرن تفعيلاته بنسبة غير متساوية لاغيا ما يسمى بالبيت الشعري قد يطول ، وقد يقصر وطوله وقصره مرهون بالدفقات الشعورية التي تنتاب الشاعر من أن لآخر ، ولنتأمل سوياً قول شاكر السياب :

أندي من السحر

في شاطئ نام فيه الماء والسحب .

فلو تأملنا هذا المقطع سنجده منظم على بحر البسيط (مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن) ولكن التفعيلات وزعت بنسب غير متساوية .

ومن محاسن الموسيقى لشعراء هذه المدرسة تنوع القوافي وارسالها وهذا ما يمنحنا موسيقى هذه المدرسة اهتمام شعرائها بالموسيقى الهادئة الخفيفة النابعة من توازن العبارات ، وتلاؤم الكلمات ، واختيار الكلمات ذات الوقع الخافت ، والرنين الهادئ ، ولا يخفى علينا ما تبعثه تلك الكلمات من هدوء نفسي وراحة وجدانية ولنتأمل سوياً قول الشاعر محمود درويش في رائعته " كفر قاسم "

مروا على صحراء قلبي حاملين دراع نخلة

مروا على زهر القرنفل تاركين أزير نحله

وعلى شبابيك القرى رسموا بأعينهم أهلة

وتبادلوا بعض الكلام عن الحمة والمدلة

مادا حملت لعشر شمعات أضاءت كفر قاسم

عبر المريد من النشيد عن الحمائم والجماجم.

الفرق المؤثر للشعر القديم من حيث الفكر ، والوزن والقافية :

الشعر القديم يتميز برنين موسيقى أخاذ ، وهذه الموسيقى تنبعث من مصادر منها وحدة الوزن ، لأن شعراء القديم يميلون إلى استخدام التفعيلات التي توزع على شطري البيت وفقا لبحور الشعر العربي الستة عشر المعروفة ويمكن أن يميل القدماء إلى استخدام البحور المجزوءة ... أم المشطورة ... أو المنهوكة إلا تتناغم الحركات ... والسواكن في رائعة شعرية ... موسيقية ... مؤثرة .

وتعتبر القافية عند القدماء مصدراً الموسيقى الظاهرة ، ولذا التزموا بوحدتها ، وكذلك تميز القدماء باستخدام التصريع ، وهو لا يتاح لشعراء الشعر الحر ، لأن التصريع يلزمه شطرا بيت النهاية موحدة وخاصة في أول أبيات القصيدة ، ومن هنا فالشعر الحر محروم من فن التصريع ذي الجرس الموسيقى الأخاذ ، بالإضافة إلى الموسيقى الداخلية الجميلة التي تأتي باستخدام المحسنات البديعية ، وترتيب الأفكار ، والرجوع للأحرف الموسيقية ، كل هذا وغيره يجعلنا نؤيد الشعر القديم . ونحدد أبيات لشاعر النيل " حافظ إبراهيم " نؤيد ما ذهبنا من مفاهيم شعرية ونحدد أبيات من قصيدة "حافظ إبراهيم" والقصيدة بعنوان " حسرة على فائت " (١) .

لم يبق من الدنيا بأيدينا
إلا بقيةُ دمع في مآقينا
كنا قادة حيد الدهر فانفردلتْ
وفي يميني العلا كنا رياحينا
كانت منازلنا في المعز شامخةً
لا تشرق الشمس إلا في مغانينا

١- من ديوان حافظ إبراهيم - أروع ما كتب شاعر النيل عام ١٩٩٥ ص ١٢

فلم نرل وصروف الدهر ترمقنا
شرراً وتحدعنا الدنيا وتلهينا
كنا قادة جيد الدهر فانفرطت
ولا صديق ولا خلاً يواسينا

الفريق المؤيد للشعر الحديث من الخيال :

يتخيل البعض أن الصور الجمالية موجودة في الشعر القديم فقط ، بل نؤكد أن الشعر الحديث (الحر) مفعم بالخيال والصور الموجيه ... والمعبرة ، والدي يؤكد هدا أن البعض النقاد سمو الشعر الحديث مدرسة التعبير بالصورة .

وقد أحجم شعراء الحديث عن استخدام الأساليب التقريرية المباشرة ومالوا إلى استخدام الصور بكل أنواعها مشخصين ... ومرشحين ... ومجردين ، ولنتأمل معاً هذه الأبيات للشاعر " أمل دنقل " بعنوان :" خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين " [1] :

أنتَ تسترحي أخيراً ...
فوداعاً ..
يا صلاح الدينْ
يأيها الطلل الدائي الدي تراقصَ الموتى
على إيقاعه المجنون
يا قاربَ الفَلّيْن
للعرب الغرقىَ الذين شتتهم سُفنُ القراصنةِ
نم يا صلاحَ الدين
نم تتدلى فوق قبرك الورودُ ...
ونحنُ ساهرون في ناقدة الحنبْ

١ - امل دنقل - ديوان شعر

نقشر التفاح بالسكين

ونسأل الله " القروض الحسنة "

فاتحةً :

آمين .

الفريق المؤيد للشعر القديم من ناحية الخيال :

إن الشعر القديم الذي أحبه ... وأيده ... أشعني ... ويشبع كل من يقرأه ... أو يسمعه بالخيال الراقي ... والصور الجميلة . ويجد الإنسان منا نفسه يعيش مع شعراء القديم حياتهم ... وعصرهم يعيش معهم كل صورة ... أو جزئية ... مفرداً ... أو مركباً . ومتداخلاً ... أو ممتداً . وأعجبتني كناياتهم ... واستعاراتهم . وتشبيهاتهم الرائعة .. ومجازاتهم المؤثرة . وهذا نموذج من إبداعات خيال شعراء القديم يقول ابن زيدون في " نونيته " إلى ولادة بنت المستكفي :

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
ونابَ عن طيب لُقيانا تجافينا
بنتم وبنا ، فما ابتلت جوانحنا
شوقاً إليكم ، ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا
يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
عليك منا سلام الله ما بقيت
صبابة منك نُخفيها فتخفينا

الفريق المؤيد للشعر الحديث من ناحية الأفكار :

كما ذكر الزملاء مزايا الشعر الحديث ، وهي مزايا جميلة .. وعديدة . ولكن يمكن أن نوضح هنا أن أفكار الشعر الحديث رائعة ... بل الشعر الحديث عاد

بالأفكار من التحليق في سماوات الخيال الجامح والرومانسية الحالمة ليرتبط بالواقع ، ويعبر عن قضاياه . فالشعر الحديث ذو صبغة واقعية تتمثل في اهتماماته بالواقع لدرجة جعلت البعض يطلقون على شعرائه " شعراء الواقعية "

فالشعر الحديث يستحق منا جميعاً الاحترام ... والتقدير لأنه ناصر قضايا التحرر الوطني من الاحتلال ... وعبر عن قلق الإنسان وخوفه من الأعداء ، ومال شعراؤه إلى الرمز ... والأسطورة ، كما أنه اقتحم غرض الغزل .. والحلم ... ووصف الطبيعة ... والوجدانيات ، وخاض في أغراض عديدة ، وتطرق شعراؤه إلى الحديث عن الروحانيات . والحياة الآخرة وما تحمله من قضايا غيبية من موت ... وبعث ... وحساب عقاباً أو ثواباً ، وما يصاحب كل ذلك من تأملات فكرية ... وروحانية ... وغيبية .

وفي وداع صديقة الشاعر الكبير " محمد الفيتوري " ينطلق الشاعر " صالح الشرنوبي " ويقول [1]

أبداً لم تمتْ ، فمثلك فوق الموتِ
فوق النسيان ... والذكريات
إنما الموت . للزواحف فوق الأرض
لا للمحلقين النُزاة
ولقد كنت في حياتك كالنسر
تقطع الكون في انتفاضة ذهن
وتجوب القرون في لمحات
وتهد الوجود هدا ، وتبنيه
ثم عميقا ، فالموت حلم طويل
هي الرؤى ، كحلم الحياة

١- رمز الشعر والشعراء - فاروق شوشه - طبعة ٢٠٠٠ ص ٢٣٤ ، ص ٢٣٥

الفريق المؤيد للشعر القديم من ناحية الأفكار :

إن الشعر القديم يعبر من خلال أفكاره عن خلجات النفس الإنسانية آمالها ... آلامها ... وإخوانها ... وطموحاتها . ويقول الشاعر عبد الحميد الديب :

وداعاً شبابي في ربيع شبابي !
وأهلاً حسابي قبل يوم حسابي
طلعتْ على الدنيا فلا النور الدجي
ولا الروضة الغيحاء وسط يباب
ولكن حظي بدل النور ظلمة
وبدل ما أشدو نعيب غراب
ولو أن وهاب الحظوظ أراد لي
سلامة إحداها لخفف ما بي

فهذه إنتحابة مشاعر ... ومعاناة قلب كبير هو قلب الشاعر " عبد الحميد الديب " . ونحن الآن مع شاعر عربي أصيل يصور كرهه للاستعمار .. والاحتلال .. وتحديه للمحتلين ... ويحدث أهله على أن ما أُخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة ... ولا تسترد الكرامة المسلوبة إلا بالكفاح . وفي هذه المعاني

يقول أبو القاسم الشابي :

أخي جاوز الظالمون المدى
فحق الجهاد وحق الفدا
أتتركهم يسلبون العروبة
مجد الأبوة والسؤددا
وهم ليسوا بعبر صليل السيوف
يحبون صوتاً لمنا أو صدى
أخي أيها العربي الأبي
أرى اليوم موعدنا لا الغدا

والأسباب التي دعتني أن أيد الشعر القديم أن أفكاره تتسع لشتى فنون الشعر ... وأغراضه فاتسعت لأغراض المدح .. والغزل ... والرثاء ... والهجاء ... والوصف ... والإنشاء ... وكذلك عبر شعراء القديم عن المجتمع وقضاياه . وعبروا عن الطبيعة . وفي هذا يقول امرؤ القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله

علي بأنواع الهموم ليبتلي

وعبر الشعر القديم عن دواتهم ... ومشاعرهم ... وآلامهم . وفي هذا يقول الشاعر محمود سامي البارودي في رثائه لزوجته وهو في منفاه في سرنديب :

أيذهب الليل قد حنت أبي رباح

وأطربت أيكة شجته بنوادي

يا دهر ويحك فيم فجعتني بحليلة ؟

كانت خلاصة عدتي وعتادي

الفريق المؤيد للشعر الحديث من ناحية الوحدة العضوية .

يتهم بعض النقاد الشعر الحديث بخلوه من الوحدة العضوية . ولكننا نؤكد مع المنصفين من نقاد الأدب على أن الشعر الحديث يلتزم بالوحدة العضوية ... ويلتزم أيضاً برسالته الواقعية . فلنتأمل معاً " صالح الشرنوبي " حين نعرض لرفض أهل محبوبته رواحه من ابنتهم . وليس الرفض وحده الذي أحزنه ؛ بل الطريقة ألمت مشاعره وحطمت كبرياءه ولعل هذه الصدمة كانت وراء قصيدته " قلب بلا حب " التي يهديها إلى حواء أو هامة ... ويقول في مستهلها [1] .

تعالى يا ابنة الأحلام . يا محبوبة الذات

تعالى يا ضياء لم ينور أفق ليلاتي

تعالى يا رحيقاً لم يزل يروي حياتي .

---

١ - رمز الشعر والشعراء - فاروق شوشه - ص ٢٣٥ ، ص ٢٣٦

تعالى فالهوى الترثار ما زال يناديني

وهاتيك أغاريدي أغنيها فتبكيني

وأحلام الصبا المحروم أطويها ... وتطويني

ثم يقول صالح الشرنوبي :

تعالى طهري بالحب آثامي وأوزاري

تعالى فأنا وحدي غريب القلب والدار

طريد مثل آيامي ... شريد مثل أفكاري

ومن الأسطر الشعرية السابقة يتأكد أنها تدور في فلك وجداني واحد ، وفي إطار فكري موحد مما يؤكد وحدة الموضوع ... ووحدة الجو النفسي أيضاً

ونؤكد على أن الشعر الحديث التزم بترتيب الأفكار . وحمال الصورة .. والألفاظ ... ومدى ملاءمة ذلك لفطرة الشاعر . وأحاسيسه . والسطران الشعريان الآيتان لصالح الشرنوبي يؤكدان أن الشعر الحديث يتسم بالوحدة العضوية والفنية . والسطران احتضنت بهما الشرنوبي قصيدته " قلب لا حب "

ويقول الشرنوبي فيها :

تعالى اسكبي سرك في أعماق أسراري

فقد تعبت أنفاسك ما يطويه قيثاري

الفرق المؤثر للشعر القديم من حيث الوحدة العضوية .

ويتضح من خلال دراستنا لشعراء الرومانسية . ومن شعر محمود سامي البارودي ومن خلال قصيدة " في المنفى " التي يقول فيها

لكل دمع جرى من عقلة سبب

وكيف يملك دمع العين مكتئب؟

لـــو لا مكابـــدة الأســـواق مـــا دمعـــت

عين ، ولا بات قلب في الحشا يجـب

لو كـــان للمـــرء عقـــل يستضـــئ بـــه

في ظلمة الشك لم تعلـق بـه النـوب

أبيت فـي عربـة لا الـنفس راضـية

بها ، ولا الملتقى من شـيعتي كثـب

فلا أبيت في غربة لا الـنفس راضـية

ولا صديق يـرى مـا بـي فيكتئـب

قبل دفاعي عن ديـني وعـن وطـني

دنـــو أدال بـــه طلمـــا وأعتـــربُ

مقدمة المناظرة :

نريد توضيحاً لمدى توافر الوحدة العضوية في الشعر القديم لما يثار حول هذا المحور

رأي الفريق المؤيد للوحدة العضوية . واكتمالها في الشعر القديم

إن شـعراء العصـر الجـاهلي ، بالـذات أصـحاب المعلقـات ، وزعـم الـبعض أن قصـائدهم ومعلقـاتهم تفتقـر إلى الوحـدة العضـوية فهـذا قـول مشـكوك فيـه مـردود عليه البعض أنه بدأ قصيدة المعركة مع الدئـب بالغزل حيث قال

ســـلام علـــيكم لا وفـــاء ولا عهـــد

أما لكم مـن هجـرا أحبابكم بـد ؟

أأحبابنا قد أنجز البـين وعـده وشـيكا

ولـــم ينجـــز لنـــا مـــنكم وعـــد

هذه هي المقدمة الغزلية يتنقل منها إلى وصف المعركة قائلاً

وليلا كأن الصبح في أوحرياته حشاشة

فصال ضم أفرندة عمد

تسر بلثه والدنف وأسنان هاجع

بعين بدر ليل ماله بالكرى عهد

عدى ثم أقع فارتجثت فهجته

فأقبل مثل البرق يتبعه الرعد

ويتضح من هذه أن المقدمة الغزلية ليست بعيد عن الموضوع الأصلي وهو وصف المعركة لأنه من الطبيعي أن يتذكر المرء أحب الناس إلى نفسه عند الأزمات ... والشدائد ... والمحن . والشاعر يتذكر هنا قبل المعركة بما يكون دافعاً للتقوى في المعركة حتى لا يفقد من يجب . وإذا نظرنا بمنظور ناضج سنجد خيوط فكرية . . وشعورية تربط بين الأغراض المتعددة بالقصيدة الواحد . وهذه سمة من سمات الشعر الجاهلي .

الفرق المؤثر للشعر الحديث سحر ... وروعة الألفاظ :

الكلمة ... واللفظ عند شعراء الاتجاه الحديث لها مفعول السحر ... لأنهم يؤمنون أن الكلمة إذا خرجت من القلب تستحوذ على قلوب السامعين . والشعر الحديث يعتمد على الكلمات المؤثرة .. والألفاظ الرائعة والتعبيرات الخلابة التي تملك القلوب . وكلمات الشعر الحديث بالرغم من أنها لغة الحياة اليومية إلا أنها أكثر تأثيراً في النفوس . وامتلاكا للعقول ... ومرونة على التعبير عما يجلبه بالنفوس من آمال .. وأحلام . ومشاعر . ونحن مع شاعرة مبدعة .. في قصيدتها في العشق . الشاعرة " ملك عبد العزيز " حيث تقول

شق قلب الغيب والعيم سراع

وادع الخطو مضيء كالشعاع

نوره غض ومسراه رهيف وأمان

نوره يحنو على الظلمة يدحرها

بكف من حنان

ثم لاحت ظلمة من بعد ظلمة

بسطت اذرعها المعكوفة السوداء

طوت الرورق في أعماقها الغبراء

حلماً ضائعاً

وبدا الليل وحيداً .... والسكون

الفريق المؤثر للفظ في الشعر القديم :

اعتمد القدماء على الكلمات القوية . المعبرة ... ، والألفاظ الموحية التي يمكن حفظها . واستظهارها رغم قوتها أو صعوبتها حيناً ، ولذا يتذوق الجميع كبار . وصغاراً الشعر القديم رغم حرالة ألفاظه ، ومن هذه الأشعار الأبيات التي حفظتها الأجيال عن ظهر قلب من شعر أبي القاسم الشابي

إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلا بد أن يستجيب القدر

ولا بد لليل أن ينجلي

ولا بد للقيد أن ينكسر

ومن لم يُعانقه شوق الحياة

تبخر في جوها واندثر

ثم يمنحنا الشابي أملاً جديداً للمزيد من انتصار الحياة ، وخاصة استخدام الفعل (تشفّه) مع ما يبدو من صعوبته إلا أنه في هذا السياق له دلالة عامة ... ومهمة تنقدنا من (صفعة العدم لنتصر) كما في البيتين الآتيين للشابي :

قويل لمن تشفّه الحياة
من صفعة العدم المتصر
كذلك قالت لي الكائنات
وحدثني روحها المستتر

أي من لا يستجيب إلى شوق الحياة (تشفّه الحياة) رقع في هوة العدم المخيفة .... والمرعبة ، ومن هذا يتأكد قيمة ... وروعة وعظمة اللفظ ... والكلمة . في الشعر القديم .

مقدم المناظرة :

من خلال هذا الحوار الرائع ... والبديع .. بين الفريقين واعتماد كل فريق أدلته ... وبراهينه ... وحجته واستشهادنه بأبيات لشعراء مبدعين للحديث .. والقديم وتأكد لنا اهتمام الاتجاهين

بالوزن والقافية (كما في القديم) ، والشعر الموزون والمقيلة نوع منسب غير متساوية فألغى البيت حل محلة السطر الشعري كما في الشعر الحديث ، والمدرستان اهتمتا بالخيال ، والأفكار ، والوحدة العضوية ، والألفاظ . ومن هنا نجد أن شعر المدرسة القديمة له محتوى ، والحديث له محتوه ، وهما معاً حناحا الحركة الشعرية في الشعر العربي على مر تاريخه الطويل .